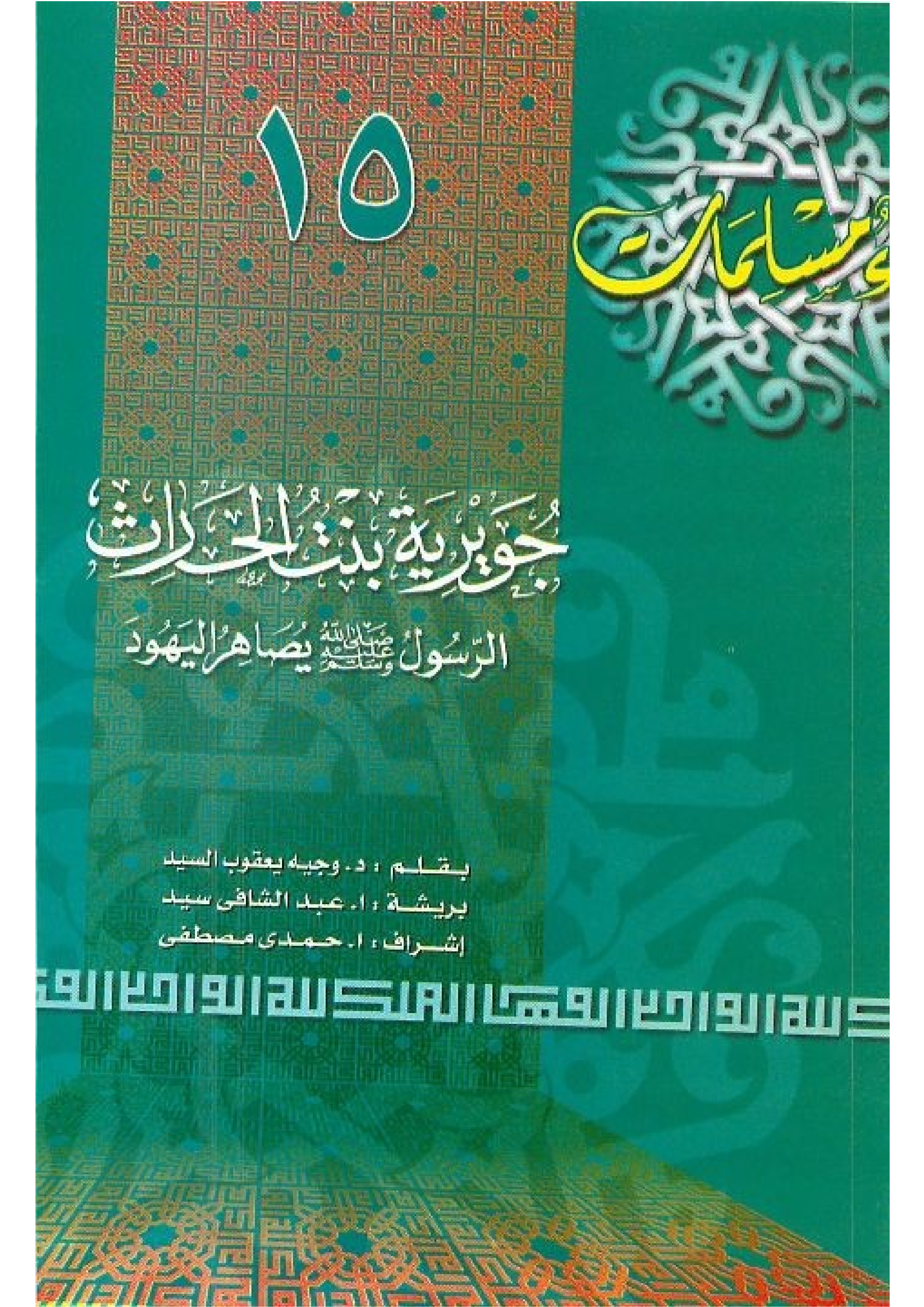
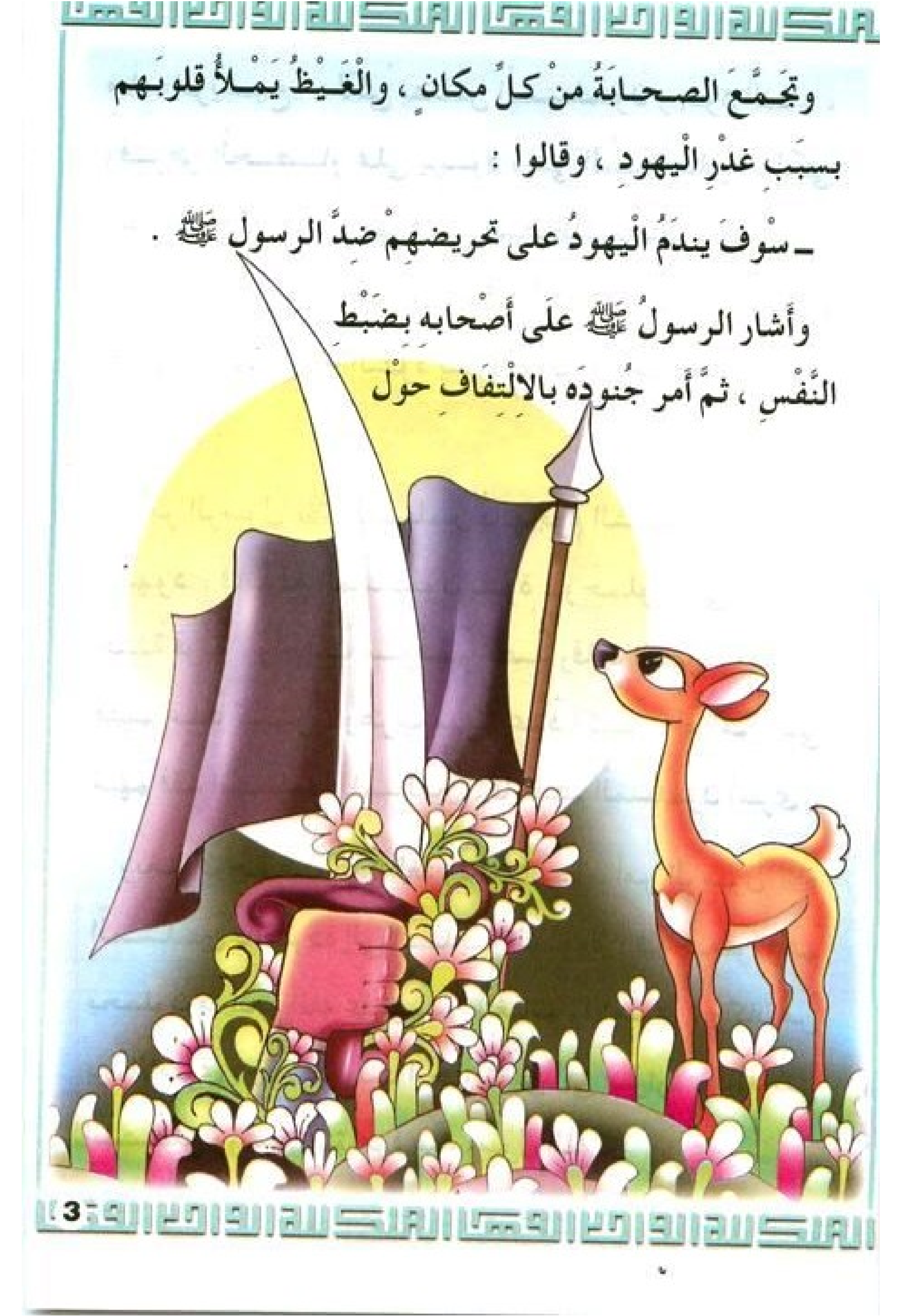

مسلمات
١٥
جويرية بنت الحارث
الرسول صلى الله عليه وسلم يصاهر اليهود
بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافى سيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى

لوْ أَردْنا أَنْ نضْربَ الْمثَلَ على إنسانيَّةِ الرسولِ ﷺ وعظَمَةِ أَخْلاقِه ، لوجدْنا مئاتِ الْقِصَصِ والْمَواقِفِ التى تُبَرْهِنُ على ذلكَ ، على أَنَّ قصةَ زواجِ الرسولِ ﷺ منْ جَوَيْرِيَةَ بنتِ الْحارثِ الْيهوديةِ الأَصْلِ ، تُعَدُّ منْ أَفْضَلِ النَّماذجِ ، التى تؤكِّدُ على عظَمةِ هذا الرسولِ ﷺ وسُمُوِّ أَخْلاقِه ، حيثُ أُثْبتَ بهذا الزواجِ ، أَنَّ نفْسَهُ لا تعرفُ الانْتقامَ أَوِ الْحقدَ ، بلْ تدعو إلى التَّسامُحِ والْحبِّ والسلامِ ..

فها هو ذَا ﷺ يتزوَّجُ جُوَيْرِيَةَ بنْتَ الْحارثِ بنِ ضِرارٍ سيِّدِ بنى الْمُصْطَلَقِ ، الذى قادَ جُموعَ الْيهودِ ، وتآمَرَ معهمْ على قتْلِ محمدٍ ﷺ مهما كانَ الثمنُ .. ولمْ يقابلِ الرسولُ ﷺ هذا الصَّنيعَ بما يستحقُّه ، بلْ ضربَ الْمثلَ فى السَّماحةِ والْعفوِ ..

ولْنَبدأْ الْقِصةَ إذنْ منْ بدايتِها .

فقدْ وضعَ يهودُ بنى الْمصْطَلَقِ خطةً لاغْتيالِ الرسولِ ﷺ ، برغْمِ الْعهودِ التى كانتْ بينَهمْ وبيْنَه ، وعلمَ الرسولُ ﷺ بذلكَ ، فجمعَ أَصْحابَهُ وأَسْرعَ فى الْخروجِ ، لكىْ يفاجئُوا الْيهودَ فى أَماكنِهمْ .



وتَجَمَّعَ الصحابَةُ من كلِّ مكانٍ ، والْغَيْظُ يَمْلأُ قلوبَهم بسببِ غدرِ الْيهودِ ، وقالوا :

ـ سوْفَ يندَمُ الْيهودُ على تحريضِهمْ ضدَّ الرسول ﷺ .

وأشار الرسولُ ﷺ علَى أصْحابهِ بضَبْطِ النَّفْسِ ، ثمَّ أمر جُنودَه بالالْتفافِ حولْ

ماءِ «المريسيع» ، لكي يضمنَ الْمسلمونَ وجودَ الْماءِ ، وفرضَ الْحِصارَ على يهودِ «بني الْمُصْطَلَقِ» ، لكي يستَسْلموا له ، وراحَ يهودُ بني الْمصطَلَقِ يقْذفونَ الْمسلمينَ بنبالِهمْ ولكنْ دونَ جدْوَى ، فقدْ كانتْ نبالُهمْ لا تُصيبُ أهْدافَها ، بينما راحَ الْيهودُ يتساقَطونَ أَمامَ سِهامِ الْمسلمينَ الْمتتاليةِ .

وأَمرَ الرسولُ ﷺ الْمسلمينَ بالْهُجومِ الشَّاملِ على قواعدِ الْيهودِ ، فانْدفعَ الْمسلمونَ بقوَّةٍ ، وحَملوا علَى الأَعْداءِ حملةً قويَّةً ، وأَخذتْ سيوفُهمْ تحصدُ رقابَ الْيهودِ ، فماتَ منهمْ عددٌ كبيرٌ ، وهربَ منهم عددٌ أكبرُ ، أمَّا مَنْ بقيَ منهمْ فقدِ استَسْلموا للمسلمينَ ، فأخذهمُ الْمسلمونَ أَسْرى .

وبعدَ أَنْ حقَّقتْ هذه الْغَزْوةُ أَهدافَها ، أَمرَ الرسولُ ﷺ الْمسلمينَ بالْعَوْدةِ إلى الْمدينةِ الْمنورَةِ ، فرجَعوا وهمْ يحملونَ ما أَنْعَمَ اللَّهُ عليهمْ من الْغنائمِ والأَسْرى ، وكانَ منْ بينِ الأَسْرى «جُويريَةُ بنتُ الْحارثِ بنِ أَبي ضرارٍ» ، قائدِ بني الْمصْطَلَقِ وزَعيمِ الْمؤامَرةِ ضدَّ رسولِ اللَّه ﷺ .

وأَخذَ كلُّ مُسلمٍ نَصيبَهُ من الْغنائمِ والأَسْرى ، فوقعتْ «جُويرِيَةُ بنتُ الْحارثِ» في سَهْمِ ثابتِ بنِ قيْسٍ ، فطلبتْ منْهُ أَنْ يَفْدِيَها بالْمالِ ويتركَها حرَّةً لوجْه اللَّه ، لكنَّ ثابتَ ابنَ قيْسٍ اشْترَطَ عليْها أَنْ تدْفعَ مالاً كثيراً لكيْ تفدِيَ نفْسَها ، بعدَ أَنْ علمَ أَنها ابنَةُ زَعيمِ بني الْمصطَلقِ ، فعجزتْ عنْ ذلكَ ، فقدْ فرَّ أَبوها معَ الفَارِّينَ وليسَ معَها منَ الْمالِ ما تفْدِي به نفْسَها .

وسألَتْ أَسيرَةً كانتْ معها فى الأَسْرِ :

ـ ما العـملُ ؟ وهلْ أُصْبحُ أَسيـرةً وأَنا بنْتُ زَعيـمِ بنى الْمصطلَقِ ؟

فقالتْ لها :

ـ اذهبى إلى مُحمدٍ ، واعْرِضى عليه الأَمْرَ ، فقدْ يُساعدُك .

وتعجَبَتْ جُويرِيةُ منْ كلامِ جارَتِها وقالتْ فى دهْشَةٍ :

ـ كيف أَذْهبُ إلى محـمدٍ ، وأَبى هو الذى قادَ جُمُوعَ الْيهودِ ضدَّهُ ؟

فقالتْ لها :

ـ لنْ تنْدَمى ، فإنَّ قلْبَ محمدٍ لايعرفُ الْحقْدَ أَو الانْتِقامَ !

وعـملتْ جُويريةُ بنْتُ الْحارثِ بِمَشُورةِ صاحِبَتِها ، وذهبتْ إلى رسولِ اللَّه ﷺ وقالتْ له :

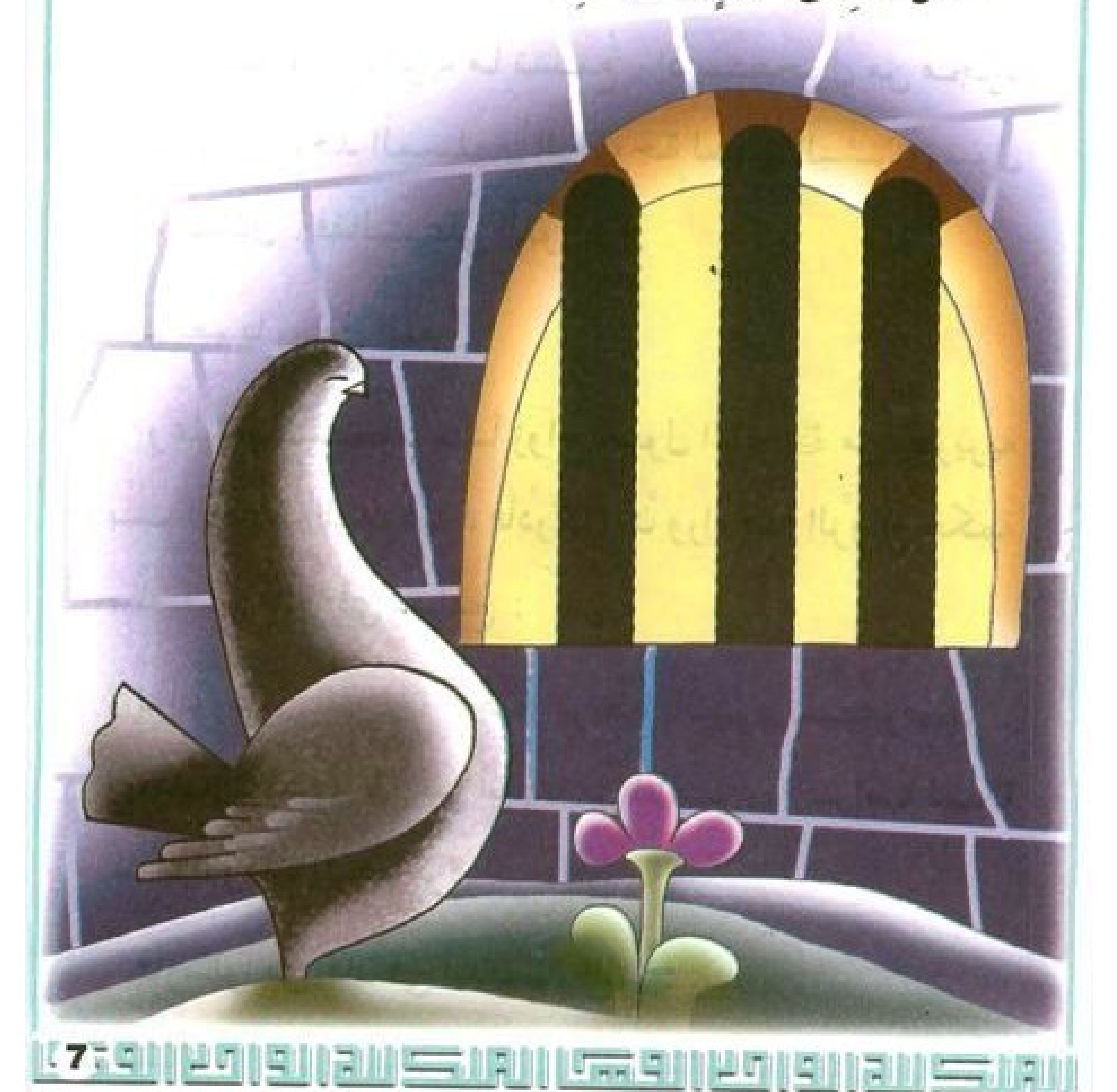
ـ يا رسولَ اللَّه ، أَنا جويريةُ بنْتُ الْحارِثِ بنِ أَبى ضِرارٍ سيدِ بنى المصطَلَقِ ، وقدْ أَصابنَى منَ الْبلاءِ ما قدْ علمْتَ ، فوقَعْتُ فى نَصيبِ ثابتِ بنِ قيْسٍ ، فكاتَبْتُهُ على نفْسى .

فَسألها الرسولُ ﷺ عمَّا تُريدُهُ كي يقضِيَهُ لها فقالتْ :

ـ لقدْ جئتُ أَستعينُ بك لتدفَعَها عنِّي وتردَّ إلىَّ حريَّتي !

ونظرَ الرسولُ ﷺ إلى ما هو أَبْعَدُ من ذلكَ ، فقالَ :

ـ هلْ لكِ في خيرٍ مما طلَبْتِ ؟



فقالتْ جُوَيرِيَةُ :

ـ وما هو يا رسولَ اللّه ؟

فقالَ ﷺ :

ـ أَدْفَع كتابَتَك وأَتَزوَّجُك !

ولمْ تصدِّقْ جُوَيرِيَةُ ما تسْمَعُ ، إذْ ستتحوَّلُ من مُجَرد أَسِيرةٍ عندَ أَحد الْمسلمينَ إلى زوجةٍ لسيِّدِ الْبشرِ ورسولِ ربِّ الْعالمين ، فقالتْ على الْفورِ :

ـ نعمْ يا رسولَ اللّه .

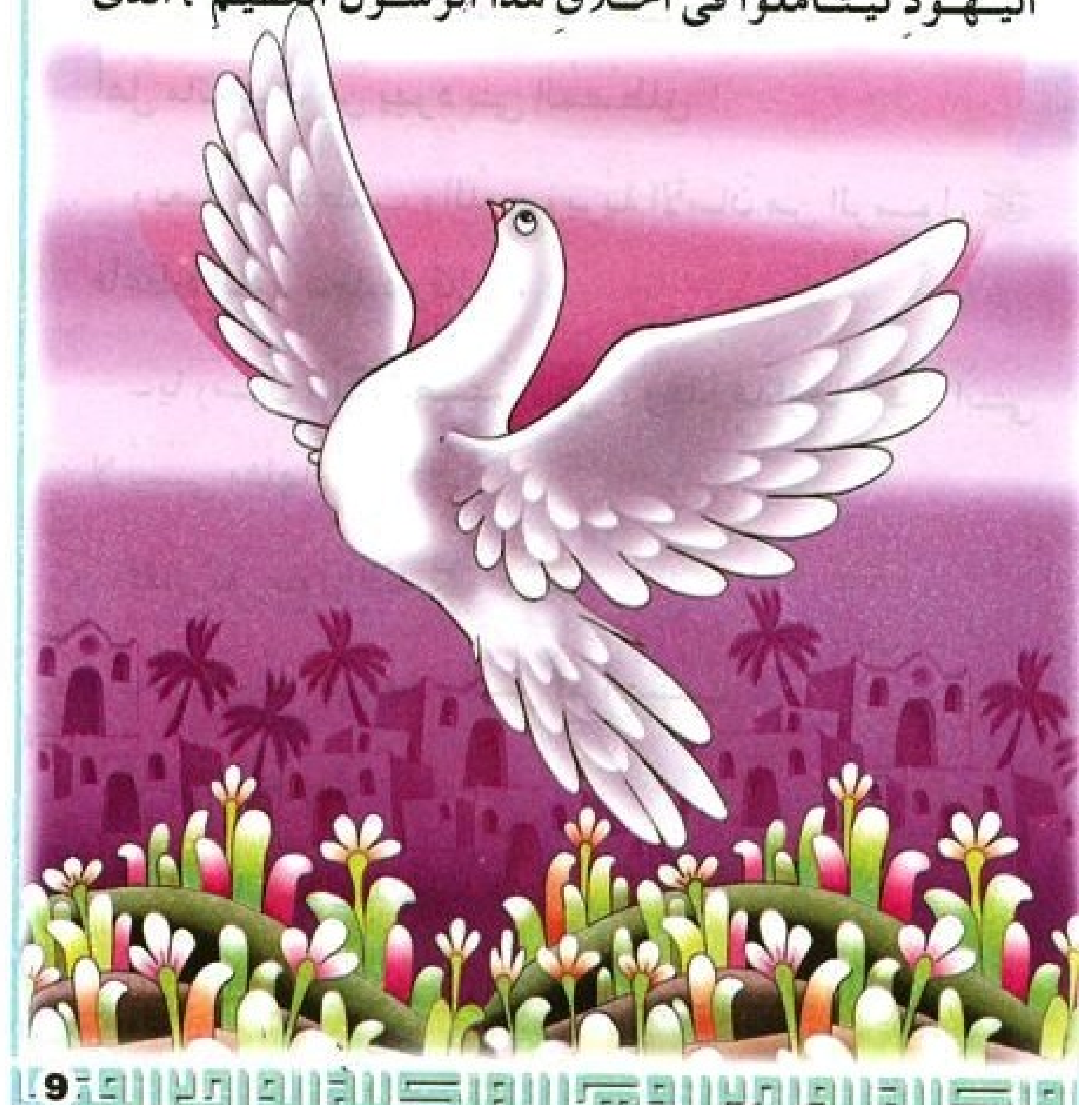
وعلمَ الْمسلمونَ بنبأ زواجِ رسولِ اللّه ﷺ من جُوَيرِية بنْت الْحارثِ الْيهوديَّة ، فأَدْركوا أنَّ وراءَ هذا الزَّواجِ حكْمةٌ ساميةٌ ، وقالوا فى تسامُحٍ :

ـ إنَّ رسولَ اللّه ﷺ ، صارَ يربِطُهُ بالْيهودِ نسبٌ وصِهْرٌ ، ويجبُ أَنْ نطْلِقَ من فى أَيْدينا من الأَسْرى إكرامًا لهذا النسَبِ وهذه الْمصاهرةِ !

فأَرْسلوا منْ كانَ فى أَيْديهمْ وقالوا :

ـ هم أصْهارُ رسولِ اللهِ ﷺ !

فكانَ هذا الزواجُ سَببًا فى عِتقِ مائةِ أُسْرةٍ من الْيَهُودِ ، كانَ مَصيرُها إمَّا الأَسْرُ وإمَّا الْقتلُ ، وبذلك كانَ هذا الزواجُ الْمَيْمونُ بركةً على عَدَدٍ كبيرٍ من الْيهودِ ، وفُرصةً لسائرِ الْيهودِ ليتأمَّلوا فى أخْلاقِ هذا الرسولِ العظيمِ ، الذى



ضَرَبَ لهمُ الْمثَلَ الأَسْمَى فى السَّماحةِ وضبْطِ النَّفْسِ ، وما زالَ يطمعُ فى هِدايَتِهم وتوبَتِهم .

ولذلكَ قالَ الْعلماءُ تعليقًا على هذا الزَّواجِ الْمبارَكِ :

ـ ما مِنِ امْرأَةٍ كانتْ أَعْظَمَ بركةً على قومِها من جُوَيْرية بنتِ الْحارثِ ، حيثُ أُعْتِقَ بزواجِها مِنْ رسولِ اللّه ﷺ ، أَهْلُ مائةِ بيْتٍ من يهودِ بنى الْمُصْطلقِ !

وبعدَ مدَّةٍ طلبَ والدُ جويريةَ الأمانَ منَ الرسولِ ﷺ فأَعْطاهُ إيَّاهُ ، فجاءَهُ وقالَ له :

ـ يا رسولَ اللّه ، أَصبتُمُ ابْنَتى ، وهذا فِدَاؤُها . فإِنَّ ابْنَتِى لا يُسْبَى مِثْلُها !

فقالَ لهُ رسولُ اللّه ﷺ :

ـ أرأَيْتَ إنْ خيَّرْتَها ، أَلَيْسَ قد أَحْسَنْتُ ؟

فأجابهُ الْحارثُ :

ـ بلَى يا رسولَ الله .

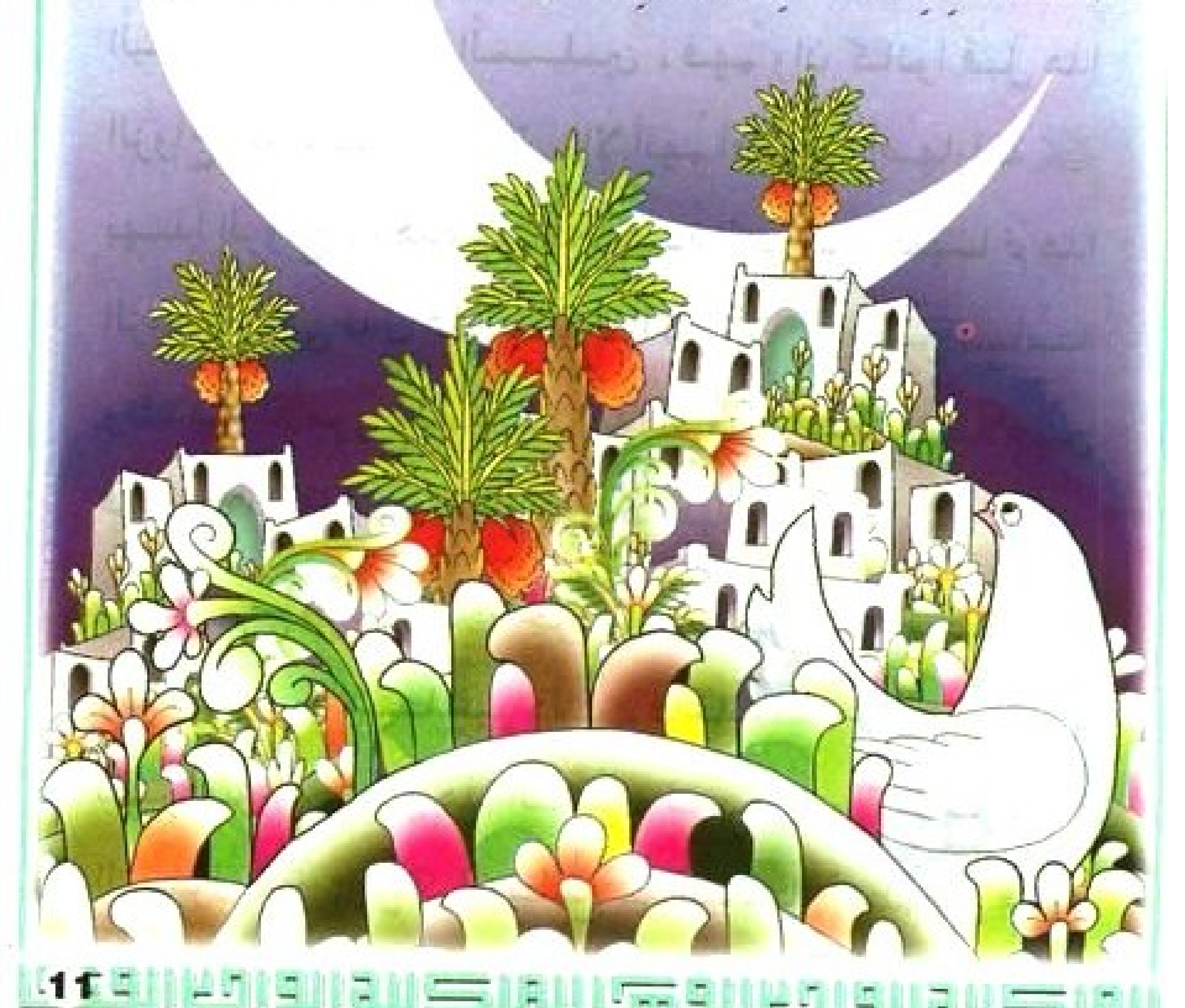
فأتى النبىُّ ﷺ بجويْريَةَ بنتِ الْحارثِ فسأَلها أَبُوهَا :

ـ يا بُنَيتي قدْ جئتُ بفدائكِ ، فهلْ تأتين معي أوْ تبقَيْنَ مع محمدٍ ؟

فقالتْ جويريةُ :

ـ لقدِ اخترْتُ اللهَ ورسولَهُ .

وبهرتْ أخلاقُ محمد ﷺ الحارثَ بنَ ضرارٍ حيثُ كانَ باستطاعَتهِ أنْ يحتفظَ بابْنَتهِ أسيرةً عنْدهُ ، لكنهُ ﷺ حررَها



مِنَ الأَسْرِ ، وتزوَّجَها وأَعادَ إليها كرامَتَها ، وجعَلَها أُمًّا للْمسلمينَ ، شأنُها شأْنُ عائشةَ وحفصَةَ وزَيْنَبَ .

ولَمْ يلْبثِ الْحارِثُ طويلاً حتَّى دخلَ قَلْبَهُ الإسْلامُ ، فقالَ بأَعْلَى صوْته :

- أَشْهدُ أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّه ، وأنَّ مُحمداً رسولُ اللَّه !

ومُنْذُ إعْلانِ هذا الزَّواجِ الْمباركِ ، صارتْ للأَسْرَى مِنَ الْيهودِ حُرْمَةٌ لدَى الْمسلمينَ ، فهمْ وإنْ كانوا قبلَ هذا الزَّواجِ أَعْداءً للرسُولِ ﷺ ، إلا أنهم أَصْبحوا أَصْهارًا له ﷺ بهذا الزواجِ ، وهذه هى الْحكمةُ التى من أَجْلها تمَّ هذا الزواجُ ، وهى تدلُّ على سعَةِ إدْراكه ﷺ ، وحسْنِ سياسته وتقْديره للأُمورِ ، فقدْ كانَ هذا الزواجُ دعوةً للإسْلامِ بينَ قومٍ امتلأتْ قلوبُهُم بالْحقْدِ والكَراهِيَةِ .

لقدْ خرجَ الرسولُ ﷺ لمجرَّد تأْديبِ يهُودِ بنى الْمُصْطَلَق ، ولم يكُنْ يريدُ شيئًا غيرَ ذلكَ ، فأعانَه اللَّهُ عليهمْ ونصَرَهُ نصرًا مؤزَّرًا ، لكنَّ هذا النَّصْرَ ، لمْ يكُنْ هو كلَّ ما يريدهُ الرسولُ ﷺ ، بلْ كانَ يطمعُ فى انتْصارٍ أَعْظَمَ منْ هذا ،



وهو انْتصَارُهُ على هذه الأَرْواحِ الشّرّيرةِ وَغرْسِ قِيَمِ الدينِ ومَبادِئه في نفوسِهِمْ .

إنهُ كانَ يريدُ تغْيير واقعِ هؤلاءِ ، فيُصْبِحوا جُنْدًا من جنودِ الْحقّ ، لا آلةً عَمْياءَ تحرّكُها الْكراهيَةُ وبعْبَثُ بها الشيْطانُ ، يريُد أنْ تتطهّرَ قلُوبُهم ونفُوسُهم منْ هذا المكْرِ وهذا الْخُبْثِ ، ولذلكَ فقدْ خرجَ ﷺ ،

والأملُ يحْدُوهُ فى تحْقيقِ ذلك ، وحقًا لقدْ أثمر زواجُ الرسولِ ﷺ النَّتيجةَ الطَّيبةَ التى كانَ يتمنَّاهَا ، فقدْ ثابَ كثيرٌ منَ اليهودِ إلى رُشْدهمْ ، ونسِى المسلمونَ كلَّ ما سبقَ منْهمْ ، فصفَحوا عنْ ماضيهم وتسامَحُوا معهمْ .

وكانَ لهذا التسامحِ أكْبرُ الأثَرِ فى نفوسِ اليهود ، حيثُ ظلُّوا متذكِّرينَ لهذا الصَّنيعِ ، وهذا الموقفِ الإنْسانىِّ النبيلِ ، فتغيَّرتْ نفوسُ كثيرٍ منهمْ .

وأرادتْ جُويريةُ بنْتُ الْحارثِ * أنْ تكفِّرَ عنْ ماضيها ، حيثُ كانتْ تعيشُ فى ظلماتٍ وضلالٍ ، فراحَتْ تُكْثِرُ من الْعبادَةِ وتتقرَّبُ إلى اللَّه بصالحِ الأعْمالِ ، فهِىَ الآنَ زوجةٌ لنبىٍّ كريمٍ ، فما أحْوجَها إلى مزيدٍ منَ الطاعَةِ والْعبادةِ حتى تكونَ جديرةً بهذا الْفضْلِ .

ولذلك فقدْ كانتْ جُويريةُ تقْضى أكْثرَ وقْتها فى الصلاة ، وقدْ مرَّ بها الرسولُ ﷺ وهى قائمةٌ تصلِّى فى الْمسجدِ ، ثمَّ مرَّ عليها بعْدَ فتْرةٍ وقد انْتصفَ النَّهارُ ، وهى ما تزالُ على هذا الْحالِ ، فتعَجَّبَ الرسولُ ﷺ وقالَ لها :

ـ مازلتِ على ذلكَ !

قالتْ :

ـ نعمْ .

فقالَ ﷺ :

ـ ألا أُعَلِّمُكِ كَلماتٍ تقُولينَهُنَّ ؟ سُبْحَانَ اللَّهِ عددَ خَلْقِهِ ، ورضَا نَفْسِهِ ، وزِنَةَ عَرْشِهِ ، ومدادَ كَلِماتِهِ !

فكانتْ جُوَيريةُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْها) لا تترُكُ هذا الدُّعاءَ الذى علَّمهاَ إِيَّاهُ الرسولُ ﷺ ، كما كانتْ جُوَيْرِيةُ كثيرةَ الصِّيامِ ، دخلَ عليها رسولُ اللَّه ﷺ يومْ جمعةٍ وهى صائمةٌ ، فقالَ : أَصُمْتِ أَمْسِ ؟ قالتْ : لا . قالَ : فتصومينَ غدًا ؟ قالتْ : لا . قال : فأَفْطِرى !

فعلَّمها الرسولُ ﷺ ، وعلَّم كلَّ المسلمينَ ، أَنَّ صيامَ يومِ الْجمعةِ بمفردِهِ غيرُ جائزٍ ، إلا إذا كانَ مصحوبًا بيومٍ قبلَهُ أَوْ بعْدَهُ .

وعاشتْ جويريةُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْها) حتى عام خمسينَ للْهجرةِ ، وتوُفِّيتْ عن عُمْرٍ يقاربُ الْخامسةَ والسِّتينَ ، وقدْ تزوجَها الرسولُ ﷺ فى السنةِ السَّادسةِ ، رحِمها اللَّهُ رحْمةً واسعةً ، ونفعَنا بسِيرتِها ، وملأَ قلُوبَنا بالنُّورِ والْهدايةِ !

(تمَّتْ)

الكتاب القادم

صفية بنت حيى بن أخطب (١)

رقم الإيداع : ٢٠٠١/١٦١٢١

الترقيم الدولي : ٠ - ٦٩٦ - ٢٦٦ - ٩٧٧